مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(١كورنثوس ٨: ٨–١٣؛ ٩: ١–٣)

يا إخوةُ إنَّ الطعامَ لا يُقرِّبُنا إلى الله لأنَّا إن أكلنا لا نـزيـدُ وإن لـم نـأكُلْ لا ننقُصُ* ولكن انظُروا أن لا يكونَ سلطانُكم هذا معثَرَةً للضعفاءِ* لأنَّه إن رآكَ أحدٌ يا مَن لـه العلمُ متَّكِئاً في بيتِ الأوثان أفلا يتقوَّى ضميرُه وهو ضعيفٌ على أكلِ ذبائحِ الأوثان* فيهلِكَ بسبَبِ عِلمِكَ الأخُ الضعيفُ الذي ماتَ المسيحُ لأجلِه* وهكذا إذ تُخطِئون إلى الإخوةِ وتجرَحون ضمائرَهم وهي ضعيفةٌ إنَّما تُخطئون إلى المسيح* فلذلك إن كان الطعامُ يُشكِّكُ أخي فلا آكلُ لحماً إلى الأبدِ لئلاَّ أُشكِّكَ أخي* ألستُ أنا رسولاً. ألستُ أنا حرًّا. أمَا رأيتُ يسوعَ المسيحَ ربَّنا. ألستُم أنتم عملي في الربّ* وإن لم أكُنْ رسولاً إلى آخرينَ فإنّي رسولٌ إليكم. لأنَّ خاتَمَ رسالتي هو أنتم في الربّ.

أحد الدينونة

ليس الإنسان مخلوقاً للعيش تحت ناموس الألم والشهوات والدموع والإرادة الضعيفة. هذه كلها تبعده عن الله. الإنسان مخلوق على صورة الله ومثاله، حاوياً له وهيكلاً لروحه الكلّي قدسه. لذلك، ولأننا نعيش تحت نير الضعف، نحن مدعوون لأن نولد من جديد خليقة حرّة وأن نخلع عنا العتاقة والهوان. هذا لن يحصل ما لم نلبس المسيح المتجسد من أجل خلاصنا، نحن الذين بالمعمودية لبسنا المسيح وحصلنا على مواهب الروح القدس الحامل الحياة.

بالتجسّد يقرع اللهُ على أبواب قلوبنا ليسكنها. الله يقرِّع قلوبنا لسبب آخر أيضاً، لا يتعلّق بنا بل يتعلّق به هو شخصيًّا. عندما يقرع لا نستطيع أن نقول له: من تطلب هنا؟ أو أن نسأله ماذا تريد منا؟ هو يقرع بابنا ويريد أن نفتح له ليقول لنا كم هو بحاجة أن نحبه لأنه هو محبة. ألا يقول لمختاريه في إنجيل الدينونة: «لأنّي جُعتُ فأطعمتموني وعطِشتُ فسقيتموني وكنتُ غريباً فآويتموني وعرياناً فكسوتموني ومريضاً فعُدتموني ومحبوساً فأتيتم إليَّ»؟ الله يريدنا أن نكون كل شيء بالنسبة إليه. ولكنه لن يفعل ذلك رغماً عنا. لن يقتحم حرمة حياتنا لأنه يحترم حريتنا وخصوصيتنا.

مَن يُبقي قلبه مغلقاً فهو إنسان وحيد في أرض غربة، قلقٌ في كل شيء، حزين حتى الموت، لأن الوحدة موجعة قاتلة. بمعنى آخر مَن لا يفتح قلبه للحب الإلهي، لن يحمل المسيح ولن يكون هيكلاً للروح. لا يستطيع أحد اقتحام القلب، واللهُ نفسه لن يفتح عنوة القلوب المغلقة. قلب الإنسان لا يُفتح إلاَّ من الداخل.

العدد ٢٠١٣/١٠

الأحد ١٠ آذار

أحد مرفع اللحم

تذكار القديس الشهيد كدراتُس ورفقته

اللحن السابع

إنجيل السَحَر السابع

صاحب القلب المنغلق منطو على ذاته، مختبئ في ظلمة أناه الفارغة، في برودة الجفاء يسكن. هذا لا يعرف سلاماً داخلياً، لا راحة له ولا رجاء. دائم الخوف، قَلِقٌ لأنه وحيد. ولكن ماذا تعني الوحدة؟ الوحدة تجعل الآخر غريباً وغريماً. إرادتنا غير إرادته. محبتنا لذاتنا تحدّ من محبتنا له وتُقصي محبته عنا. لذلك نسأل في أرض غربتنا: هل من إنسان يحبني؟ أو هل هذا الإنسان يحبني؟ ما هي أهمية موقعي عنده؟ ما هو حجم وجودي في حياته؟ هل يفتكر فيّ دوماً؟ مَن يتطلّع إلى الآخر من هذا

الإنجيل

(متى ٢٥: ٣١-٤٦)

قال الربُّ متى جاءَ ابنُ البشرِ في مجدهِ وجميعُ الملائكةِ القديسين معه فحينئذٍ يجلسُ على عرشِ مجدهِ* وتُجمَعُ إليهِ كلُّ الأُممِ فيميّزُ بعضَهم من بعض كما يميّزُ الراعي الخرافَ من الجداءِ* ويُقيم الخرافَ عن يمينهِ والجداءَ عن يسارِه* حينئذٍ يقولُ المَلِكُ للذينَ عن يمينِه تعالَوْا يا مباركي أبي رِثوا المُلكَ المُعَدَّ لكم منذ إنشاءِ العالَم* لأنّي جُعتُ فأطعمتموني وعطِشتُ فسقيتموني وكنتُ غريباً فآويتموني* وعُرياناً فكسَوتموني ومريضاً فعُدْتُموني ومحبوساً فأتيتم إليَّ* حينئذٍ يُجيبه الصدّيقون قائلين يا ربُّ متى رأيناك جائعاً فأطعَمناك أو عطشانَ فسقيناك* ومتى رأيناك غريباً فآويناك أو عُرياناً فكسوناك* ومتى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتينا إليك* فيُجيبُ الملكُ ويقولُ لهم: الحقَّ أقول لكم بما أنَّكم فعَلتم ذلك بأحد إخوتي هؤلاءِ الصغارِ فبي فعلتموهُ* حينئذٍ يقول أيضاً للذين عن يساره إذهبوا عنّي يا ملاعينُ إلى المنظار يعتبر نفسه غريباً ويكسر روابط المحبة التي تربطه بالقريب، هذا بقلب باردٍ يقطّع أوصال الحياة لأنه يبني من حوله جدراناً يطلب باستمرار إلى الآخرين هدمها.

أما الله فيعلّمنا معنى آخر للحب. ليس سوى الروح القدس قادرٌ أن يدفئ قلوبنا ويزيل غربتنا عن الله. متى زالت غربتنا عن الله، لا يعود الآخر غريباً عنا، لا يعود بعيداً، نُسكنه في قلب الله، والله يقيمنا معه في ذاته. وفي قلب الله معاً نحيا، نتحد ونتجدد.

متى نفتح قلوبنا لله؟ وكيف؟ المسيحي يفتح قلبه لله متى يعي الشعور بفراغ الوحدة والضجر. عندما نسأم من محاورة ذواتنا ونفهم أن هذا الحوار يقودنا إلى فراغ قتّال، ينفتح باب الرجاء والسلام في قلبنا. ينفتح قلبنا ليستقبل السيد عبر الأخ الجائع إلى حناننا والمتعطش إلى اهتمامنا والمسجون في غربة القهر، والقابع على هامش طريق العمر، والمريض بعبادة أناه.

لا تخافوا يا أحبة أن تشرّعوا أبواب قلوبكم ليدخل منها المسيح إلى حياتكم مَلِكاً. هكذا تعرفون السلام الداخلي والفرح الذي لا يغلبه موت.

يعلّمنا السيد معنى آخر للحب: حب يزرع في القلب رجاء لا يتزعزع، حب لا يحتاج إلى كلام لأنه يتغذى من هدأة الصمت وعذوبة القلب.

المسيحي الذي يعرف هذا النمط من العشق الإلهي يفهم المعنى العميق للطاعة وينكشف لنا قول الرسول بولس إلى العبرانيين: «أطيعوا مدبّريكم واخضعوا لهم فإنّهم يسهرون على نفوسكم سهر من سيعطي حساباً... والله سيكمّلكم في كل عمل صالح عاملاً فيكم ما هو مرضيّ لديه» لأن الطاعة تصبح تعبيراً عن تقديم الذات قرباناً لله وللآخر. الطاعة بالمسيح هي الجواب الحرّ الوحيد لحب الخالق للمخلوق. الطاعة ابنة الثقة وهي مغروسة في الحب. طاعة المسيحي لله لا تستقيم بدون ثقة تامة بالله وإيمان كلي به. الطاعة لله لا تكون بدون محبة له تفوق كل وصف. هذه الطاعة تكسر قيود التسلّط لأنّها شفافة كالرجاء، مسكوبة في الحب، قوية كالفرح، وبهية كالمجد.

على أبواب الصوم

تقيم الكنيسة المقدّسة في الأحد الثالث من فترة التهيئة للصوم الأربعيني المقدس تذكار مجيء ربنا يسوع المسيح الثاني المقسط أي الديّان العادل. بعد أن تهيَّأنا روحياً في الأحدين السابقين، نتحضّر جسدياً في الأحد الثالث والرابع للصوم الكبير. في هذا اليوم نرفع عن موائدنا اللحم ومشتقاته لذلك دُعي هذا الأحد أحد مرفع اللحم. أمّا كنسيًّا فيمتاز أحد الدينونة كما يقول أحد المفسرّين اللاهوتيين بثلاث نقاط: «يكمّل ذكرى الموتى الذي بدأ نهار السبت (سبت الأموات)، ومع أن ذكر الدينونة كثيف فإن ذكر الرحمة المستمدة من أحد الإبن الشاطر لا يُنسى، وثالثاً يفتح مرحلة جديدة وهي التحضير للصوم».

نقرأ في سنكسار أحد الدينونة الهدف من وضع الآباء القديسين لهذا الأحد بعد مَثَلي الفرّيسي والعشّار والإبن الشاطر وذلك «لكيما إذا رأى الإنسان تعطف الله الوارد بهما، لا يجيز حياته بالكسل

النارِ الأبديَّةِ المُعَدَّةِ لإبليسَ وملائكتِه* لأنّي جُعتُ فلم تُطعِموني وعطِشتُ فلم تَسقوني* وكنتُ غريباً فلم تُؤووني وعُريانـاً فلم تَكسوني ومريضاً ومحبوساً فلم تَزوروني* حينئذٍ يُجيبونهُ هم أيضاً قائلين يا ربُّ متى رأيناك جائعاً أو عطشانَ أو غريباً أو عُريانـاً أو مريضاً أو محبوساً ولم نَخْدِمْكَ* حينئذٍ يُجيبُهم قائلاً الحقَّ أقولُ لكم بما أنَّكم لم تفعلوا ذلك بأحدِ هؤلاءِ الصغار فبي لم تفعلوهُ* فيذهبُ هؤلاءِ إلى العذابِ الأبدي والصدّيقونَ إلى الحياةِ الأبديَّة.

تأمل

لكي نعطي قرضاً نفتّشِ عمّن سنجني منه فائدة أكبر. ولكنّنا مع الفقير، نفعل العكس تماماً : نترك الله الذي يعطينا القرض مئة ضعف ونسعى وراء الآخرين الذين لا يعطوننا حتى رأس المال. ومَن هم أولئك الآخرون؟ إنهم أهواؤنا: الشراهة، الغرور، حبّ المال، الشهوات وأخرى غيرها. حقّاً بماذا ستعوّضنا الشراهة؟ بجسم بدين وكسل، وبماذا سيعود علينا الغرور؟ بالحسد والكره. وماذا سيُجزينا حبّ المال؟ هموماً وقلقاً، وماذا ستجلب لنا

قائلاً أنَّ الله هو عطوف ومحبّ للبشر وعندما أرجع عن الخطيئة يمكنني أن أصنع كل شيء بسهولة»، بل لحث الإنسان أن يكثف جهاده ضد الأهواء المعيبة مقدماً توبة صادقة عن أفعاله لأنّ «إذا ما جلس الحاكم على المنبر المفزع والكتب تفتح والأفعال توبَّخ وخفايا الظلمة تُشهر، والملائكة يبادرون إلى جمع جميع الأمم... فمَن يحتمل الوقوف أمام وجهه إذا ما انتصب لديه ملائكته موبخين الأفعال والظنون والأفكار الصادرة في الليل والنهار» (من إينوس أحد مرفع اللحم) يسمع الرب يسوع قائلاً: «تعالَوا يا مباركي أبي رِثوا الملكوت المُعَدَّ لكم منذ تأسيس العالم» (متى ٢٥: ٣٤). لذلك على المؤمن أن يقدّم توبةً حقيقيةً عن كلّ ما فعله في حياته على الأرض طوعياً كان أم كرهياً، بمعرفة أم بجهل. والتوبة الحقيقية تبدأ بالإعتراف بالخطايا بتواضع وانسحاق.

أسئلة كثيرة يسألها شباننا اليوم حول سر الإعتراف وبخاصة كيف وبماذا أعترف، وهل وجود كاهن ضروري، أليس هناك إعتراف بين الشخص والله مباشرة؟ الإعتراف حاجة ضرورية إذ لا خلاص بدونه، من هنا يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: «التوبة هي الدواء الذي يدمّر الخطيئة، إنّها عطيَّة سماويّة، قوة عجيبة مذهلة تقهر بالنعمة الإلهية كلَّ قوة النواميس وحدّتها. إنّها تقبل الجميع وتحوّلهم. التوبة لا ترفض الزاني، ولا تبعد الفاسق، ولا تشمئز من السكّير، ولا تقرف من عابد الأوثان، ولا تهمل الواشي. التوبة لا تظلم الشاتم ولا المتعجرف نفسه. التوبة تجدد كل واحد لأنّها أتون ينقي من الخطيئة. الجرح هو الخطيئة والدواء هو التوبة».

على المتقدِّم إلى الإعتراف أن يتذكّر كافة خطاياه دون أن يخفي شيئاً، لأن إخفاء أمر ما يجعل ضميرنا ثقيلاً يعذّبنا، ويجعل خطيئتنا مضاعفة يستخدمها الشيطان ضدّنا يوم الدينونة. عليه أن يتذكّر الوصايا العشر وينظر أية واحدة تجاوز وعصي، أي عليه ان يفحص ضميره وعندها يتوجه إلى الكاهن بتواضع وانسحاق لينال الغفران عن خطاياه. عندما نذهب للإعتراف ندخل ملجأ السيّد المسيح، منتصبين أمام الكاهن المنظور، الذي هو شاهد وممثّل للكنيسة جمعاء، والمسيح غير المنظور. الكاهن يسمع اعترافنا والله يقبله. الكاهن يفحص نفسنا والمسيح يشفيها. الكاهن يصف العلاج ولكن الله هو الذي يفعل معجزة الشفاء والتجدّد الروحي.

عندما نعترف علينا أن نقول باختصار وبدقّة كل خطيئة من خطايانا. فالإعتراف بكلام عمومي لا يدخل إلى جوهر الموضوع لا يفيد المعترف بشيء، بل عليه أن يعدّد أمام الله كل تجاوز بمفرده مبتعداً عن سرد قصص تفصيليّة طويلة، كما عليه أن يعترف بخطاياه هو لا بخطايا الآخرين فلا يلوم الآخرين على خطاياه بل يلوم نفسه، وهذا الأمر يجب أن يكون بإخلاص وبصدق، بقلب منسحق بدون خجل أو تقديم أعذار. لذلك يقول القديس باسيليوس: «مَن لا يصلح سيرته بالإعتراف فهو لا يعترف ولكن يتكلَّم باطلاً».

يذهب المعترف إلى الكاهن حاملاً خطاياه بتوبة عميقة في نفسه وبرغبة صادقة بالتغيير، ويكشف أمامه كامل أسرار قلبه وضميره ذلك لأنَّ للإعتراف أمام

الشهوات؟ جحيماً وألماً. ها هم المدينون للأغنياء! ها هم الذين يدفعون فوائد رؤوس أموالهم، أي المصائب التي تحلّ بهم في الحياة الحاضرة وتلك التي تنتظرهم في الحياة الآتية.

«كلّ مَن يرحم الفقير يُقرض الله». تسأل بتسرّع: ومتى في النهاية، سيُعيد لي الرب الحسنة التي أعطيها للفقير وأقرضه بها؟ لا أحد يعرف متى، ربما غداً. «ومتى جاء ابن الإنسان إلى مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذٍ يجلس على كرسي مجده فيُقيم الخراف عن يمينه والجِداء عن يساره، ثم يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعدَّ لكم منذ تأسيس العالم». لأيّ سبب سيرثون ملكوت السموات المعدّ لهم؟ «لأنّي جُعت فأطعمتموني... ويقول لهم الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم». ولكي تتأكّد أنه مهما فعلنا من فضائل أخرى من دون أعمال الرحمة سنذهب إلى الجحيم الأبدي، اسمع ما يقول الكتاب المقدّس فيما يلي: «ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار: اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية».

القديس يوحنا الذهبي الفم

الكاهن دور تعليمي مهماً جداً إذ يجعلنا نتواضع، يحطم كبرياءنا، ويسكب فينا حياءً وخوفاً، ويحمينا من الخطايا في المستقبل. عندما نخطئ، نخطئ أمام الله، والسبب في عدم خجلنا منه أنّنا لا نراه. وبالتالي عندما نعترف أمام الله فقط فهذا نفعله بسهولة فنصير كمن يكلّم نفسه لأنّنا لا نراه. أمّا الإعتراف إلى الكاهن فيشعرنا بالخجل لأننا نكشف ضعفاتنا أمام الآخرين، ويصعب علينا أن نكرّر خطايانا خاصة عندما نتذكر أنّنا سنكشفها ثانية خلال الإعتراف.

الهدف من الإعتراف هو أن تتنقّى النفس تماماً وتتقدَّس وتتسربل لباس العرس وتتّشح به لتقابل عن استحقاق العريس السماوي يوم المجيء الثاني. فلننقِ أنفسنا ونحن على أبواب الصوم المقدس «هاتفين إلى المسيح الإله يا مَن قام من بين الأموات احفظنا أبرياء من المداينة نحن الممجدين إياك يا عديم الخطأ وحدك».

أسبوع مرفع الجبن

مع انقضاء أحد مرفع اللحم نرفع كل أنواع اللحوم عن موائدنا لنتهيّأ لدخول الصوم الكبير المقدس بعد أسبوع. وقد رتبت الكنيسة أن نمتنع عن أكل اللحوم في هذا الأسبوع المسمَّى أسبوع مرفع الجبن ونأكل السمك والحليب ومشتقاته وذلك في إطار استعداد تدريجي تدخلنا بواسطته الكنيسة جسدياً وروحياً في أجواء الصوم الكبير.

هذا الأسبوع هو مدخل حقيقي للصوم الكبير: «لقد انفتح الآن باب التوبة الإلهية فلْنَلِجْ فيه بنشاط مطهّرين أجسادنا بمغادرة الأطعمة والأهواء كمطيعي المسيح الداعي العالم إلى ملكوت السموات ونقدِّم لملك الكل عُشْر السنة كلها لكي بشوق ننظر قيامته المجيدة»، «كما غادرنا اللحوم وبقية الأطعمة فسبيلنا أن نطرح معاداة القريب والزنى والكذب ونفرَّ هاربين من الشرور بأسرها» (من صلاة سَحَر الإثنين في أسبوع مرفع الجبن). إذاً صلوات الكنيسة تدخلنا في مفهوم الصوم الحقيقي المتلازم مع التوبة والإبتعاد عن الشرور والخطايا.

أيضاً في إطار التهيئة رتّبت الكنيسة صلوات يومي الأربعاء والجمعة من هذا الأسبوع أن تكون مثل صلوات أيام الصوم الكبير من حيث الشكل والترتيب والمضمون. كما نقرأ في الكنيسة في هذا الأسبوع كل يوم صباحاً رواية الآلام (التسليم والصلب والقبر) بحسب الإنجيلي لوقا لكي نتذكر قبل دخول الصوم اننا نتطلع إلى أن يُتوّج صومنا بالأسبوع العظيم المقدس حيث الصلب والقبر والقيامة المحيية. نصلّي إلى الرب في هذا الأسبوع أن يكون صومنا الآتي معيناً ومؤهلاً إيانا «لكي بشوق ننظر قيامته المجيدة».

أخيراً، في يوم السبت قبل مرفع الجبن نصنع تذكار جميع الأبرار والنسّاك الذين «عاشوا ببرٍ وبأتعابٍ وأصوامٍ كثيرة، رجالاً ونساءً معاً، لكي بواسطة تذكرِ جهاداتهم نتقوّى في ميدان التجارب وتكون لنا سيرتهم كنموذج ومرشد، ونتّخذ المعاضدة والنصر منهم فنبرز إلى الجهادات الروحية متفكرين في ان هؤلاء أيضاً هم مشاركون طبيعتنا بعينها».

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb